الطبيعة البشرية

ملخص
شكل مفهوم "الطبيعة البشرية" محوراً رئيسيًا في الفلسفة منذ العصور القديمة، حيث دارت النقاشات حول ما يُحدد الإنسانية بشكل جوهري، وما إذا كان هناك جوهر ثابت للكائن البشري، وكيف تتفاعل الطبيعة البشرية مع الثقافة والأخلاق والحرية. تستكشف هذه الأطروحة وجهات النظر الفلسفية الرئيسية حول الطبيعة البشرية، بدءًا من التصور الأرسطي الغائي وصولاً إلى التفسيرات الوجودية وعلم الاجتماع الحيوي الحديثة، معتبرةً أن أفضل فهم للطبيعة البشرية يكمن في التفاعل الديناميكي بين الحتمية البيولوجية والحرية الوجودية. من خلال دمج رؤى من الميتافيزيقا والأخلاق وعلوم الإدراك، تزعم هذه الدراسة أنه بينما يمتلك البشر ميولاً فطرية، فإن قدرتهم على خلق الذات والوكالة الأخلاقية تعقّد أي تعريف ثابت للطبيعة البشرية.

1. **المقدمة**: إشكالية الطبيعة البشرية
سؤال "ما هي الطبيعة البشرية؟" هو سؤال جوهري ومليء بالغموض. هل هناك جوهر أساسي يُحدد الإنسانية، أم أننا ننتج عن الثقافة والصدفة؟ قدم الفلاسفة وعلماء اللاهوت والعلماء إجابات متنافسة، تعكس غالبًا افتراضات أوسع حول الميتافيزيقا والأخلاق ونظرية المعرفة. تبحث هذه الأطروحة في هذه النقاشات، وتقيّم ما إذا كانت الطبيعة البشرية فئة ثابتة أم بناءً متطوراً.

2. التصورات الكلاسيكية للطبيعة البشرية
الرؤية الغائية عند أرسطو
يطرح أرسطو في كتابي »الأخلاق النيقوماخية و«السياسة » أن الطبيعة البشرية تحُدد بالعقل (لوغوس) وبالدافع الفطري نحو *اليودايمونيا* (الازدهار). بالنسبة لأرسطو، البشر هم "حيوانات سياسية" يتحقق جوهرهم من خلال المشاركة الاجتماعية الفاضلة. يشير إطاره الغائي إلى نظام طبيعي ثابت يوجه التطور البشري.

المنظور المسيحي-الأغسطيني
يقدم لاهوت أغسطينوس توتراً ثنائيًا: فالبشر مخلوقون على صورة الله لكنهم فاسدون بالخطيئة الأصلية. وبالتالي، فإن الطبيعة البشرية تكون نبيلة وساقطة في آن واحد، مما يتطلب نعمة إلهية للخلاص. هيمنت هذه الرؤية على الفكر الوسيط، وصوّرت الطبيعة البشرية كساحة معركة بين الفضيلة والانحطاط.

هوبز مقابل روسو: الجدل حول الحالة الطبيعية

يصور توماس هوبز في *اللفياثان* الطبيعة البشرية على أنها تنافسية بطبيعتها (الإنسان ذئب لأخيه الإنسان)، مما يستدعي عقداً اجتماعيًا لتجنب الفوضى. في المقابل، يُمجّد روسو في خ«طاب حول عدم المساواة« البشر ما قبل الحضاريين كهمج نبيلين أفسدتهم المجتمع. يُبرز هذا الانقسام الآثار السياسية لنظريات الطبيعة البشرية.

3. وجهات النظر الحديثة وعصر التنوير
ثنائية ديكارت والجوهر العقلاني

يختزل ديكارت في مقولته *أنا أفكر إذن أنا موجود* الطبيعة البشرية إلى جوهر مفكر (*رس كوجيتانس*)، مفصلاً العقل عن الجسد. تؤثر هذه الثنائية لاحقًا على النقاشات بين العقلانيين والتجريبيين حول ما إذا كان العقل أو التجربة هو ما يُحدد الإنسانية.

»طبيعة كانط الأخلاقية والاستقلالية«
يُحول كانط التركيز إلى الوكالة الأخلاقية، قائلاً إن الطبيعة البشرية تتميز بالاستقلالية والقدرة على الواجب (كتاب «نقد العقل العملي»). بالنسبة لكانط، يمكّن العقل البشر من تجاوز الطبيعة الحتمية من خلال التشريع الأخلاقي الذاتي.

ماركس والنقد المادي التاريخي

يرفض ماركس الطبيعة البشرية المجردة، قائلاً إن "جوهر الإنسان ليس تجريداً كامنًا في كل فرد"، بل يُشكله الواقع المادي («أطروحات حول فويرباخ»). بالنسبة لماركس، الطبيعة البشرية قابلة للتشكيل وخاضعة للسياق التاريخي.

4. تحديات الوجودية والفينومينولوجيا
جون بول سارتر: "الوجود يسبق الماهية»

تنكر الوجودية عند سارتر أي طبيعة بشرية محددة مسبقًا. في كتاب *الوجود والعدم*، يؤكد أن البشر محكومون بالحرية، ويخلقون ماهيتهم من خلال خياراتهم. ترفض هذه الاستقلالية الجذرية الماهوية لصالح اختراع الذات المستمر.

مفهوم هايدغر "الوجود-في-العالم"
ينتقد هايدغر في مفهوم «الوجود-هنا» («دازاين") الميتافيزيقا التقليدية، ويصور الطبيعة البشرية كعملية مستمرة من التفسير داخل عالم مشترك. بالنسبة لهايدغر، البشر ليسوا كيانات ثابتة، بل كائنات منخرطة ديناميكيًا في صنع المعنى و البحث عن العلم الأصيل.

5. المقاربات المعاصرة: البيولوجيا، الثقافة، والإرادة الحرة»

علم الاجتماع الحيوي وعلم النفس التطوري
يجادل إدوارد أوسبورن ويلسون وآخرون بأن الطبيعة البشرية تشكلها التكيفات التطورية (مثل الإيثار، العدوانية). لكن النقاد (مثل ستيفن جاي غولد) يحذرون من الحتمية البيولوجية، مؤكدين على تأثير الثقافة.

*رفض البنيويين لما بعد الحداثة للطبيعة الثابتة

يفكك فوكو ودريدا "الطبيعة البشرية" باعتبارها بناءً خطابيًا مرتبطًا بالسلطة. يعلن فوكو في كتاب *نظام الأشياء* أن "الإنسان" اختراع حديث، محكوم عليه بالاختفاء.

فلسفة الأعصاب والعقل المتجسد
تشير علوم الأعصاب (مثل أنطونيو داماسيو) إلى أن العاطفة والعقل متشابكان بيولوجيًا، مما يتحدى ثنائية ديكارت. وهذا يدعم رؤية الطبيعة البشرية كخاصية ناشئة عن تفاعلات الدماغ-الجسد-البيئة.

6. الخاتمة: الطبيعة البشرية كتوتر جدلي
لا يمكن اختزال الطبيعة البشرية إلى بيولوجيا خالصة أو حرية مطلقة. بل تنشأ من الجدل بين الميول الفطرية والوكالة الثقافية-التاريخية. بينما تكشف العلوم التطورية والمعرفية عن ميول مشتركة، تذكرنا النقود الوجودية وما بعد البنيوية بقدرة البشرية على تجاوز الحتمية. لذا، يجب أن يوازن أي تفسير شامل للطبيعة البشرية بين العالمية والمرونة، مع الاعتراف بوجود قيود وإمكانيات.

توفر هذه الأطروحة إطاراً لفهم الطبيعة البشرية كسؤال مفتوح، يستمر في التطور جنبًا إلى جنب مع البحث الفلسفي والعلمي.